تجليات الهمة عند المعري

دلال إبراهيم كايد الزهيري

طالبة ماجستير (اللغة العربية وآدابها) - الجامعة الأردنية - الأردن
dalalazuheiri@gmail.com

الملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى تغيير الصورة النمطية السائدة عن الشاعر أبي العلاء المعري، من حيث وصفه بالمتشائم القلق من الحياة، وذلك بالبحث عن "تجليات الهمة" لديه كما ظهرت في شعره على مستويات متعددة، من خلال نماذج مختارة تُدللُ على ذلك. وقد تبلورت تجليات الهمة عنده في ديوانيه سقط الزند واللزوميات، فكشفت عن همته خلقيًا، ونفسيًا، وعلميًّا، ثم عرضت الدراسة لمناقشة هذه الفكرة - فكرة الهمة - عنده بصورة تطبيقية، وذلك بإجراء دراسة فنية لقصيدته الموسومة بـ "سبيل المجد"، التي تكشف عن نظرة أبي العلاء المعري للحياة بوجهٍ عقلائي. وتظهر الدراسة من خلال هذه التجليات وما فيها من استقراء للمواضع الدالة على ذلك، الأثر الكبير الذي لا يمكن تناسيه أو تجاهله لأبي العلاء المعري على ذاته وعلى من حوله فيما بعد.

الكلمات المفتاحية: الهمة، المعري، سقط الزند، اللزوميات، سبيل المجد

المقدمة:

تناول هذا البحث بين طياته جانبًا من حياة أبي العلاء المعري (٤٤٩ هـ)، وهو من شعراء العصر العباسي الذين كانت لهم مكانة متميزة، فقد اتخذ من شعره وسيلة للتعبير عن كل ما يواجهه في حياته. وتهدف الدراسة للبحث في جانب من شخصيته وهو "الهمة عند المعري" لا سيما أنه عُرف بتشاؤمه وقلقه من الحياة، لذا فإن الدراسة تسعى لإثبات عكس هذه النظرة. ومن ناحية أخرى، لم تتطرق أي من الدراسات - فيما أعلم - للبحث في شعر المعري عن هذا الجانب بشكل مفصل من هذا المنطلق "منطلق الهمة"، التي كانت دافعًا في روح المعري؛ - رغم عماه - لإتمام مسيرة حياته العلمية - وأخص اللغوية -، وحياته العملية في ظل المجتمع العباسي الذي عُرف بتدهور أوضاعه السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العصرين الثاني (٢٣٢ هـ - ٤٤٦ هـ) والثالث (٤٤٦ هـ - ٦٥٦ هـ).

الدراسات السابقة:

تعددت الدراسات التي بحثت في حياة المعري وشعره؛ قلقه واغترابه، فلسفته وتأملاته ورسائله، إلا أنَّ أيًا منها لم يشر إلى هذه الجزئية التي عرضتُ إليها في المقدمة. وقد اعتمدت في إجراء هذه الدراسة على كتاب الجامع لأثر أبي العلاء المعري للجندي بأجزائه الأربعة، إذ استعنت فيه بالتفصيلات والشواهد التي استقرأها المؤلف من شعر المعري، وصنّفها بحسب مواضيعها، كما اعتمدتُ على ديواني سقط الزند واللزوميات بتحقيق عمر الطباع، وشروح سقط الزند التي أشرف عليها طه حسين، وتضمن شرح التبريزي والبطلوسي والخوارزمي.

مشكلة الدراسة وأهميتها:

أهمية الدراسة:

تبرز أهمية هذه الدراسة في كونها تسعى إلى إعادة النظر والتدقيق في المقولات المتداولة والأحكام المسبقة عن المعري التي ترميه بصفات القلق والتشاؤم والاغتراب، غائبًا عن بالهم النظرة الواقعية العقلانية التي أراد المعري أن يبينها من خلال أشعاره، وغافلًا عن خاطرهم ثقافته الموسوعية في علوم اللغة والفقه والفلك والتاريخ و...، فعميت أنظارهم عن أنَّ التشاؤم ليس مضادًا لتدقيق الهمة على صعيد الحياة والزّوم نحو الأفضل لتحقيق الذات.

إجراءات الدراسة:

وتنقسم هذه الدراسة إلى تمهيد ومبحثين، كما يلي:

أولاً: تناول التمهيد تعريفاً موجزاً بأبي العلاء المعري فيلسوف الشعراء، وما خاضه في حياته، وتأصيلاً لمفهوم " الهمّة " في جذرها اللغوي ومعناها الاصطلاحي.

ثانياً: تعرّض المبحث الأول لـ (تجليات الهمّة عند المعري) من خلال مطلبين؛ المطلب الأول أبرز تجليات الهمّة عند أبي العلاء المعري في سقط الزند. والمطلب الثاني أبرز تجليات الهمّة عند أبي العلاء المعري في اللزوميات. وذلك من خلال تحليل شواهد شعرية تدلّ على همّته.

ثالثاً: المبحث الثاني؛ دراسة فنيّة وقفت على مشهّد متكامل من مشاهد الهمّة في شعر المعري في لاميته الموسومة بـ " سبيل المجد " في ديوان سقط الزند.

تمهيد:

البند الأول: ترجمة أبي العلاء فيلسوف الشعراء:

أبو العلاء هو أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن قضاة التنوخي المعري اللغوي الشاعر(ابن خلكان،١٩٧٧).

وُلد بمعرة النعمان في مغرب شمس يوم الجمعة لثلاث ليالٍ بقين من ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثلاثمائة للهجرة في بيت كريم فاضل إذ كان من بني سليمان الذي قال فيهم ابن العديم : و أكثر قضاة المعرة وفضلائها وعلماؤها وشعرائها وأدباؤها من بني سليمان، وسليمان هو الجد الخامس لأبي العلاء، توفي و أبو العلاء في الرابعة عشرة من عمره، وهذا يدل على أنه كان مِمَّنْ تعلَّم أبو العلاء بين يديه، وجدة أبي العلاء لأبيه أم سلمة، وقد عدّها ابن العديم في الإنصاف والتحري من بين الشيوخ الذين سمع أبو العلاء الحديث عنهم (بنت الشاطئ، ١٩٦٥). أمّا والده عبد الله فقد كان يُذكر في تاريخ حلب والمعرة - كما ذكرت بنت الشاطئ- أنه كان : " فاضلاً لغوياً، أديباً شاعراً " (بنت الشاطئ، ١٩٦٥)، وقد كان والده شيخه الأول في علوم اللغة والحديث وأنبته في الحياة العلمية والعقلية إلى أن وافته المنية في ٣٩٥هـ - وقيل ٣٧٧هـ - بمعرة النعمان، فناده في مراثيته (المعري، ١٩٩٨) :

أمولى القوافي كم أراك انقيادها لك الفصحاء العرب كالعجم للكن
ووالدته هي " بنت محمد بن سبيكة " الأم التي رفدت العربية بهذا الأديب العظيم، وافتها المنيّة ماتت - بينما كان أبو العلاء في طريق عودته من بغداد إلى المعرة سنة ٤٠٠هـ عندما علم بمرضها - قبل أن تودعه، فحزن لذلك حزناً شديداً. وقد قال فيها في لزومياته (المعري، ٢٠٠٠):

العيش ماضٍ فأكرم والديك به والأُم أولى بإكرام و إحسان

وحسبها الحمل و الإرضاع تدمنه أمان بالفضل نالا كل إنسان

كان لأبي العلاء أخوان، حازا من الفضل الأدبي والعلمي كما حاز أبو العلاء، إلا أنه تفوق عليهما؛ أكبرهم أبو المجد محمد بن سليمان الذي روى عنه أبو العلاء بعض أشعاره، وأصغرهم أبو الهيثم عبد الواحد، وكان شاعراً مجيداً أيضاً، توفي قبله، فعاش بعدهم أبو العلاء يكابد وحيداً في هذه الحياة. (بنت الشاطئ، ١٩٦٥).

وبذلك نخلص إلى رفعة البيت الذي ورث عنه أبو العلاء علمه وأدبه، فنجد بعد أن غدا شاباً يفتخر بقبيلته قائلاً (المعري، ١٩٩٨) :

أتمشي القوافي تحت غير لوائنا ونحن على قوالها أمراء

وأنيّ عظيم راب أهل بلادنا فإننا على تغييره قدراء

وما سلبتنا العز قط قبيلة ولا بات منا فهم أسراء

وليس له من قومنا خفراء

ولا سار في عرض السماوة بارق

أمّا رحلات أبي العلاء في حياته، فقد جمعت بين الإرادة والطموح، والمجاهدة والمكابدة، حيث نشأ أبو العلاء طفلاً بانته عليه ملامح الذكاء والنبوغ في بيت قضاء وعلم، ومجد إلى أن بلغ الرابعة من عمره، مرض بالجذري الذي شوه وجهه بندوب لم يبرأ منها ذهبت ببصره وصنعت غشاوة على عينيه حرمته من إبطار وضع النهار، فجعلت الدجى رفيق حياته الدائم. ويصف ذلك أبو العلاء في رسائله إلى داعي الدعاة فيقول: " قضى عليّ وأنا ابن أربع، لا أفرق بين البازل والرّبع، لا أعرف من الألوان إلا الأحمر، لأنني ألبست في الجذري ثوباً مصبوغاً بالعصفر، لا أعقل غير ذلك " (بنت الشاطئ، ١٩٦٥)، فلمّا تعثرت أداة النور، قاده أبوه إلى ما يمنحه نور البصيرة ويكشف له عن آفاق الوجود المغلق أمام عينيه، فذهب به إلى شيوخ القرآن والحديث وتلقى العلوم اللغوية والنحو بمعرفة النعمان على أبيه وعلى أبي بكر بن مسعود النّحوي وغيرهم، كما كان أبو العلاء شغوفاً بشعر المتنبي، واستأنف سيره في طلب العلم حيث سافر إلى طرابلس وحلب، واجتهد في ذلك حتى اشتهر بذكائه وسعة حافظته ونور بصيرته وجمال شعره وكمال علمه (بنت الشاطئ، ١٩٦٥).

وهذا يدل على أنّ حرمان المعري من نعمة البصر، منحه همّةً وتحدياً قاده إلى التفوق على أقران عصره حتى غدا أسطورةً " في قدرته المذهلة على استيعاب اللغة، وإحصاء شواردها وشواهدا قريبها وبعيدها، زماناً ومكاناً، في مجموع تراثها إلى أيامه شعرا ونثراً، حتى كأنه منها. وهو الأعلى. في كتاب مفتوح. ومنحته معها القدرة على خلق عوالم كاملة تؤدي فيها اللغة دور البطولة، إلى جانب غايات فكرية ونفسية وفرت وقودها أطراف مختلفة من الثقافات، تستنفذ اضطرامه الداخلي، وحيروته العميقة في فهم ما يقوم من حوله، أو ما يقال فيه" (بركات، ٢٠١٥)، فالتمس من العلم عامة و من اللغة خاصة النور الذي حُجب عنه في عماءه، فكان الفضل والشرف رفيقَيه الدائمين في ظل الدجى الذي يحيط به، حيث قال عن نفسه (المعري، ١٩٩٨):

لِي الشَّرَفُ الَّذِي يَطَأُ الثُّرَيَّا مع الفضل الذي بهر العبادا

وقد سرى ذكره في البلاد شاعراً وهو ابن إحدى عشر سنة كما ورد في وفيات الأعيان، حتى غدا كالشمس، فلا تُذكر المعرّة إلا ويُقال: أبو العلاء المعري، فهو القائل (المعري، ١٩٩٨):

وقد سارَ ذكري في البلاد فمن لهم بإخفاءِ شمسي ضوءها متكامل

وبهذا يكون أبو العلاء قد قلبَ بلاء العى الذي حلَّ به من حده السلبي إلى حده الإيجابي، ولا يقدرُ على هذا إلا ذو إرادةٍ وهمّة، فحاز شرفاً يطاءُ الثريا حتى وقتنا الحاضر، فملاً الدنيا وشغل الناس كما كان من شأن المتنبي، إذ صوّر نفسه (لفظاً) في لسان الدهر يكرره الرجال متميّن فيهمّة والوصول إلى مكانته، حيث يقول (المعري، ١٩٩٨):

كأنّي في لسان الدهر لفظٌ تضمّن منه أغراضاً يعادا

يكررني ليقهمني رجالٌ كما كزّرت معي مستعادا

وكم من طالبٍ أمدي سيلقى دُوَيْنَ مكاني السبع الشّدادا

وقد لُقّب المعري برهين المحبسين، لعماءه أوّلًا، ولملازمته داره ثانياً فجعل من نفسه نزيلاً لهذا الحبس حوالي نصف قرن، وهي سنوات عمره الأخيرة التي بلغ فيها النضج والاكتمال. لكنه في نظر نفسه سجين ثلاثة سجون لا اثنين، فالثالث كون نفسه محبوسة في هذا الجسد، حيث يقول (المعري، ٢٠٠٠):

أراني في الثلاثة من سجوني فلا تسأل عن الخبر النبيث
لفقدي ناظري ، ولزوم بيتي وكون النفس في الجسد الخبيث

ولزومه بيته و كثرة حديثه عن الموت وعزوفه عن الزواج و...؛ يتخذ بعض النقاد و الأدباء كطه حسين - على سبيل المثال - ذريعةً لوصفه بالمتشائم القليل من الحياة، غير متفاعلٍ مع ما يحيط به فيها، وهذه الدراسة تنطلق من رفض هذا الموقف الحاد بشأن المعري، إذ لم يكن المعري متشائمًا بقدر ما كان عقلاً يتأمل الحياة قدرها الذي تستحقه، فهو شاعرٌ هُمام، صاحبُ فضلٍ. وتسعى الدراسة إلى الكشف عن تجليات ذلك تحت إطار " الهمّة"، مُبرزَةً شأن الشاعر أبي العلاء في المعرفة الموسوعية والتفوق الذي حازه في العلوم الأدبية خاصة من نحو وصرف وعروض ولغة، والعلوم الفلكية والهندسية والتاريخية، ومنهجه التأملية الذي كان واضحاً في كل نظمه، بهدف نقض الصورة النمطية التي تدّعيها الدراسات عن شؤمه.

أمّا السّمات الأسلوبية لشعره عامّة، فإنّ شعره قد تنوع بين أساليب البلاغة وجمعها، وكثرت فيه المصطلحات العلمية، والتأمّلات، حتى لقبه النقاد بشاعر الفلاسفة، كما كثرت ألفاظ الغريب في شعره؛ بيد أنّ هذا ليس عيباً إذ إنّ كان على سبيل الاستئناس بألفاظ اللغة، وقد تنوّعت الأغراض الشعرية لديه في ديواني سقط الزند واللزوميّات، إذ اهتم في سقط الزند بأغراض شعرية متعدّدة كالغزل والمدائح والتهاني والاعتذارات والفخر والمراثي والوصف والحكمة والمثل، وأقلها نصيباً كان الهجاء. أمّا في لزوميّاته فلم يلتزم بترتيب محدّد حسب المواضيع والأغراض لتعدّد ذلك عليه، بل تناول في القصيدة الواحدة أغراضاً متعدّدة، وهذا ما جعله يمتاز بالغرابة (الجندي، ١٩٩٢).

البند الثاني: تأصيل مفهوم الهمّة:

• معنى الهمّة لغة:

الهمّة والهمّة: ما همّ به من أمر ليفعله، وتقول: إنه لعظيمُ الهمّ وإنه لصغيرُ الهمّة، وإنه لبعيدُ الهمّة والهمّة بالفتح. (ابن منظور، ١٤١٤).

وقد ورد في مقاييس اللغة في مادة همّ أنّ الهاء والميم: أصلٌ صحيح يدلُّ على ذُوبٍ وجَريانٍ ودبيبٍ وما أشبه ذلك، ثم يقاس عليه. و منه قول العرب: همّني السّيءُ: أذابني، وأهمّني: أقلقني، ومهمّ الأمر: شديده. والسحاب الهاموم: الكثير الصّوب، والهمّ: ما همّمت به، وكذلك الهمّة، ثم تشتق من الهمّة: الهمام: الملك العظيم الهمّة (ابن فارس، ٢٠٠٨). ونستنتج من المعنى اللغوي لـ "همّني و أهمّني"، أن الأمر لما أذابه وأقلقه و ذهب به كل مذهب واشتد به صوب إرادته إليه وهمّ عازماً على فعله مستجلباً كل همّته، وبذلك فإن الهمّ مؤدّاه إلى الهمّة، وكما يُقال: من لا همّ له لا همّة له. ويتجسّد هذا المعنى في قول المعري (المعري، ١٩٩٨):

يهمّ الليالي بعضُ ما أنا مضمّرٌ ويثقل رضوى دونُ ما أنا حاملٌ

وإني و إن كنتُ الأخير زمانه لآتٍ بما لم تستطعه الأوائلُ

• معنى الهمّة اصطلاحاً:

الهمّة - في الاصطلاح - كما أورد معناها الجرجاني في التعريفات: هي: " توجه القلب وقصده بجميع قواه الروحانية إلى جانب الحق؛ لحصول الكمال له أو لغيره" (الجرجاني، ١٤١٣). و تعريفه هذا يشير إلى أهوية الروح في استجلاب الهمّة للإنسان. كما قال ابن القيم في تعريف الهمّة: " والهمّة فعلة من الهمّ، وهو مبدأ الإرادة، ولكن خصّوها بنهاية الإرادة، فالهمّ مبدؤها، والهمّة نهايتها" (ابن القيم، ٢٠١١). فابن القيم قرّن في تعريفه بين الهمّة والإرادة، حيث جعل الهمّة أسمى درجات الإرادة الإنسانية. أمّا المناوي فحدّثنا عن صورة الهمّة - في رأيه - بقوله: " عظم الهمّة عدم المبالاة بسعادة الدنيا وشقاوتها" (المناوي، ١٩٩٠).

وعلى غرار قول المعري (المعري، ١٩٩٨) :

إذا أنت أعطيت السعادة لم تبُل وإن نظرت شزراً إليك القبائل

وقد حثّت السنة النبوية على الهمّ إلى معالي الأمور، ومن ذلك ما ورد في الحديث النبوي: "حدثنا عبد الله بن يوسف، قال: أخبرنا مالك، عن سعي مولى أبي بكر، عن أبي صالح، عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهّموا عليه لاستهّموا، ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما في العتمة والصبح، لأتوهما ولو حبوا» متفق عليه. (رواه البخاري، ٦١٥) (رواه مسلم، ٤٣٧).

كما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: (لا تصغرّن همتكم؛ فإنني لم أر أقدع عن المكرمات من صغر الهمم) (الماوردي، ١٩٨٥).

وقال ابن القيم: "فمن علت همته، وخشعت نفسه، اتصف بكل خلق جميل. ومن دنت همته، وطغت نفسه، اتصف بكل خلق رذيل" (ابن القيم، ٢٠١١)، ومن هنا نستنتج أنّ الهمّة تتراوح بين درجات، همّة عالية تأخذ بصاحبها للفضائل، وهمّة دنيّة تأخذ بصاحبها إلى المهالك، كما قال شاعرنا المعري (المعري، ١٩٩٨) :

أدنى الفوارس من يغيّر لمغنم فاجعل مغارك للمكارم تكرم

فالفارس معروف بفروسيته وشجاعته، لكن شتان بين فارس الهمّة الساعي إلى المكارم، وفارس الدناءة الذي قصر همّة على نيل المغانم.

ونهاية القول ما قاله ابن هانئ الأندلسي :

ولم أجد الإنسان إلا ابن سعيه فمن كان أسعى كان بالمجد أجدر

وبالهمّة العلياء يرقى إلى العلا فمن كان أرقى همّة كان أظهر

ولم يتأخر من يريد تقدماً ولم يتقدم من يريد تأخراً

المبحث الأول: تجليات الهمّة عند المعري

إنّ رغبة الإنسان في تحقيق ذاته وإثبات تفوقه على أهل زمانه، غاية لا تكاد تغيب عن خاطر أي إنسان تتسم روحه بالسؤيّة والطموح والهمّة العالية، وذلك "لأنّ الإنسان مفلّوج على السعي نحو كمالاته أو نحو ما يعتقد أنّ فيه كماله، ويتجلى هذا السعي في سلوكه وأعماله وردود أفعاله تجاه المثيرات القادمة من العالم الخارجي أو الداخلي" (بطش، ٢٠٠٥)، كما أنّ إثبات الفرد لذاته وتحقيقها يعتبر من الرغبات النفسية الأصلية "التي تدفع الفرد إلى الإفصاح عن ذاته سواء كان هذا في عمل أم موقف، والتعبير عن شخصيته وتوكيدها وإظهار ما لديها من إمكانيات" (عوض، ١٩٨١). وقد تطرّقت في هذا المبحث إلى المواضيع التي تكشف عن ذلك عند المعري كما تجلّت في ديوانه (سقط الزند) في المطلب الأول، وديوانه (اللزوميات) في المطلب الثاني، على النحو الآتي :

- **المطلب الأول:** تجليات الهمّة عند المعري في سقط الزند، وهي المجموعة التي تضم أشعار أبي العلاء التي قالها في شبابه قبيل عزلته، والتي كان أسلوبه فيها متأثراً بالمتنبي حيث حاول في هذا الديوان أن يتصيّد المعاني العميقة الدالة على فخامة الأسلوب والصنعة البلاغية مركزاً بوجه خاص على المطابقات وضروب التجنيس " (الطباع، ١٩٩٨)، فكشفت عن مظاهر همته - من خلال شعره - هنا على ثلاثة أضرب؛ أولها: مظاهر همّته أخلاقياً، وثانها: مظاهر همّته نفسياً، وثالثها: مظاهر همّته علمياً. وقد استفدت هذا التقسيم من كتاب الجندي (الجامع لأثر أبي العلاء المعري).
- **المطلب الثاني:** تجليات الهمّة عند المعري في اللزوميات، أو لزوم ما يلزم، وهو الشعر الذي كتبه المعري في لزومياته، ورثبه على القافية، وقد التزم في قوافيه ما لم يلتزم به شاعر سواه، فأتى في القافية الواحدة بأكثر من روي واحد. وقد تناولت مظاهر همته فيه من غير تبويات محددة، على أنّه مشابهة للتقسيم في السقط.

المطلب الأول : تجليات همّة المعري في سقط الزند
أولاً : تجليات همته (أخلاقياً):

١. التواضع الجَم مع ممدوحيه ومخاطبيه:
فالتواضع من الأخلاق التي تدلُّ على همّة المرء وسُمُوّه، إذ هو ارتفاع النفس عن الغرور والخيلاء بما وهبها الله، ومما يُدَلِّكُ على ذلك في سقط الزند (المعري، ١٩٩٨) أنَّ الشريف أبا إبراهيم موسى بن إسحاق أرسلَ إلى المعري قصيدةً أولها:

غير مستحسنٍ وصال الغواني بعد ستّين حجةٍ وثمانٍ

فأجابه أبو العلاء في قصيدةٍ مطلعها:

علّاني ، فإن بيض الأمانى فنتيت والظلام ليس بفاني

ويتجلّى مظهر تواضعه في القصيدة بقوله (المعري، ١٩٩٨ م):

قد أجبنا قولَ الشريف بقولٍ، وَ أَثَبْنَا (الحصى عن المرجان)

أطربتنا ألفاظه، طرب ال عُشَّاقٍ للمسمِعاتِ بالألحانِ

فاغتبقنا بيضاء، كالفضة المح ضي، وعِفْنَا حمراء كالأرجوانِ

حيث قصد بالمرجان شعر الممدوح (الشريف)، فجعل شعره كالحصى أمام شعر ممدوحه، وهذا كناية عن تواضعه، رغم علمه بأن شعره يفوقه لغة وأسلوباً حيث قال في موضعٍ من السقط: (المعري، ١٩٩٨)

كأنّي في لسان الدهر لفظ تضمّن منه أغراضاً بعدا

يكررنى ليفهمي رجالٌ كما كررت معنى مستعاداً

٢. التّعفُّفُ عن الاستجداء بشعره:

يدور معنى التعفف كما ورد في قواميس العربية: (لسان العرب، والعباب الزاخر، والصحاح) هو: "تكلّف العفة"، وفي لفظ التكلف ما يدلُّ على حرمان النفس من أمرٍ تبغيه لبلوغٍ مرامٍ أعلى، وهذا من قبيل الهمّة، حيث نجد أبا العلاء رغم علمه الواسع وقدرته البليغة على نظم الشعر يتعفّف عن الكسب وقبول الهدايا ممّن يمدحهم أو من غيرهم، لأنّ همّة نفسه تترفع عن ذلك، مع العلم أنّ هذا الأسلوب كان سائداً عند شعراء عصره، إلا أنّه لم ينحّ منحاهم. ونمثل على ذلك من قوله في رثاء الشريف أبي أحمد الملقّب بالطاهر: (المعري، ١٩٩٨):

و أنا الذي أهدي أقلَّ بهارة حسناً لأحسن روضة مثناً

أوضعتُ في طرق التشرف سامياً بكما ، ولم أسلك طريق العافي

وقد ورد في لسان العرب أنَّ البَّهار هو نبت طيب الريح، و أضاف إلى ذلك صاحب القاموس المحيط أنَّه: كل نبت طيب الريح وكل حسن مستنير، والروضة المنفاف: هي الروضة الكاملة حسناً ونباتاً، فالمعري أقام صورة فنية (استعارة تصريحية)، حيث شبَّه مدحه بالبهارة التي تهدي إلى الروضة الكاملة، كناية عن أنَّ مدحه قليل مقابل شرف ممدوحه.

ثم يبين بأنَّ مدحه لهما رغم ما يتصفان به من غنى وكمال، لم يكن بُغية العطاء والتكسب، إنما بغية التشرف والتسامي بهما، فهو هنا تعقّف عن الكسب المادي وسَمًا بهمته إلى بلوغ المعاني السامية ممَّن مدحهم.

ثانياً: تجليات همّته نفسياً:

١. اعتداده وثقته بنفسه:

وهذا من أدل المظاهر على همته، حيث أدرك أنَّ ذاته هي المنبع الأصل لعزمه وتوقد همته أمام صروف هذا الدَّهر الذي اصطفاةً للبلايا فغداً ضريراً، فما كان منه إلا أن اعتدَّ بنفسه وبما يملك من مواهب وبراعة لغوية وثقافة واسعة ممتدة. وبدأت آثار هذا الاعتداد في الفخر والمديح واضحة، وقد خُصِّصَ جزء من هذا البحث لإجراء دراسة فنيّة على قصيدة في الفخر، وذلك في البحث الثاني من هذه الدراسة.

ومن مظاهر اعتداده بذاته في باب المديح والتَّهاني، قوله (المعري، ١٩٩٨):

و فيّ لمن رام المعالي بقية وعندي إذا عيّ البليغ مقال

حيث يخاطبهم بقوله: "قد بقيت فيّ خصال من المجد يقتدي بها طلاب العلا والمجد" (الطُّباع، ١٩٩٨)، وما يلفت في هذا البيت تقديمه لشبه الجملة "فيّ" و "عندي" اللتين فيهما ضمير المتكلم العائد إليه، كأنه أراد بذلك أنَّ يُدَلِّل على أنَّ ذاته هي الأصل للمجد والعلا، وما سواها متفرِّع عنها، فمن أراد المجد فليقتدي بسيره.

٢. اعتداده بشعره:

إذ تفرَّد باستخدامه للألفاظ اللغوية التي تبدو غريبة على قارئ شعره أو سامعه، وما غرابُها إلا انعكاسُ لاهتمامه باللغة حتى توغل في عميقها وغريبها، فغداً يستأنس بها ويحيا من خلالها، ولم يكن هدفه من التغريب في الألفاظ أن يُشكِّل الفهم على النَّاس و إنما كان. هُـهـ أن يكون جزءاً من أسباب خلود الألفاظ العربية الفصيحة، فسعى إلى تخليد ألفاظ اللغة العربية من خلال شعره كي يثبت إمكانية استعمالها على مدى الدَّهر، وأهمية الفروق التي تتجلّى في الألفاظ في إيصال المعاني الدقيقة.

ومن ذلك قوله: (المعري، ١٩٩٨)

تذود غلاك شُرَّاد المعاني إلىّ ، فمَن زهيرٌ ومن زياد؟

إذا ما صِدَّتْها ، قالت رجالٌ: ألم تكن الكواكب لا تصاد؟

من اللاتي أمدَّ بهن طبعٌ و هدَّهن فكرٌ وانتقاد

فهنا نجد أبا العلاء يعتد بالمعاني التي في شعره، بحيث جعل نفسه يفوق أشعر الشعراء (الناطقة زياد، وزهير بن أبي سلمى شاعر الحكمة المشهور)، حتى ذهل رجال العرب ممَّا دفعهم إلى تصوير معانيه بالكواكب التي لا تصاد، مندهشين ممَّا استطاع المعري اصطفاةً! وفي قوله " ألم تكن الكواكب لا تُصاد؟" انزياحٌ في التركيب " لا تصاد" عن التركيب " لا يُوصَل"، لأنَّ الكواكب لا تصاد على وجه الحقيقة وإنما لا يصل الناس إليها، كناية عن اقتداره وتفوقه على من قبله في صوغ المعاني البليغة في شعره. ومن ذلك أيضاً قوله في قصيدة مدح بها أبا القاسم علي بن الحسن بن جليات: (المعري، ١٩٩٨):

سننث لأرباب القريض ، امتداحه
كما سنّ إبراهيم حجّ مقامه
وهذا لأهل النطق شرعي ومذهبي
فمن لم يطعني عقيّ أمر إمامه

والقريض هو الشعر، وفن القريض هو فن نظم الشعر، فيقول المعري معتداً بنفسه وبقدرته الفائقة على نظم الشعر بأنه هو الذي سنّ قواعد هذا الفن لأربابه كما سنّ إبراهيم عليه السلام الحج، وبالغ في ذلك لدرجة أنّه رمى من لا يتبع أمره ومذهبه بتهمة العقوق.

٣. همته في سعيه الدائم إلى طلب معالي الأمور:
ونُمثل على ذلك بقصيدته التي مطلعها (المعري، ١٩٩٨):

أرى العنقاء تكبرُ أن تُصادا
فعاقد من تطيق له عنادا
وما نهيت عن طلبٍ ولكن
هي الأيّام لا تعطي قيادا

ثم تصدّى في ذات القصيدة إلى خبرته في أحوال الناس وما توجبه هذه الخبرة من الارتياح منهم واجتنابهم:
تجنبت الأنام، فلا أواخي
و زدتُ عن العدو، فما أعادي

وعلّل عدم قرّبه من الناس، وتجنب الأصدقاء والأعداء، فقال:

فأيّ الناس أجعله صديقاً
و أيّ الأرض أسلكها ارتياداً
ولو أنّ النجوم لديّ مالٌ
نفت كفّاي أكثرها انتقاداً

يقول الشاعر: أيّ الناس أقبله لنفسي صديقاً، و أيّ قطعة من هذه الأرض أتخذها منزلاً؟ مستنكراً على نفسه أن يكون هذا مطلباً لها، ويبين سبب ذلك من خلال قياسه لصورة عملية انتقاد المال على عملية انتقاد النجوم، كأنه يقول: "كيف أرتضي أحاً أو صديقاً جيداً أو بلداً حبيباً وأنا حين أنتقد النجوم رغم أنها تمتاز كلها باللمعان أقومُ بنفي أكثرها" (الطباع، ١٩٩٨)، ونستشف من هذه الصورة دلالتين: الأولى: أنّ الشاعر أراد أن يبيّن مدى فساد أهل زمانه وافتراقه عنهم، والثانية: أن يبين مدى تفرد همته بحيث رفض النفيس لأنه يبغي الأنفس، وهذا الأنفس غير موجود، فعزف عن الكل.
لذلك زاد من شدة الصورة في البيت التالي قائلاً:

كأنّي في لسان الدهر لفظ،
تضمّن منه أغراضاً بعيداً
يكررني ليفهمي رجال
كما كررت معنى مستعداً

فقد " ذكر أن الدهر اختصه بمنزلة عالية، وسجايها فاضلة، قصر عنها أبناء الزمان: فأصبح لانفراده بها كأنه منفرد عن الناس، ثمّ أشار إلى أنه لا يجب الاختصاص بنعمة ولا الانفراد بمكرمة وإنما يحب أن يشاركه الناس في كل خير، وهذه غاية ما بعدها غاية في حب المساواة وكراهية الاستئثار بالنعمة" (الجندي، ١٩٩٢):

ولو أني حُبَيْتُ الخلد فردًا لما أَحْبَبْتُ بالخلد انفرادا

وهو على كرهه الانفراد والاستئثار بالمعالي لنفسه، نجده قد بلغ مكانة لا يدركها طالب (الجندي، ١٩٩٢).
حيث يقول (المعري، ١٩٩٨):

وكم من طالبٍ أُمدي سَلَقَى دُوَيْنَ مكانِي السبع الشِّدادا

يُوجِّحُ في شعاع الشمس نارا ويقْدَحُ في تلْهُبِها زنادا

وبعد أن رسم لنا صورة من التفرد، بيّن محبته لوصول الناس معه لهذا التفرد، ثم استدرك ذلك بصورة أخرى رسمها بكم الخبرة لمن يطلب الوصول إلى مكانته على أنه نار، أما هو فشمس، وهذا الطالب يريد أن يشعل ناره في شعاع واحد من أشعة الشمس، لكنه لن يستطيع ذلك لأن ضوء شعلة النار لا يضاهي شعاعاً واحداً من أشعة الشمس، كناية عن أن هذا الطالب مهما بلغ فلن يستطيع الوصول إلى أقل منزلة من المنازل التي بلغها أبو العلاء "شعاع الشمس"، فكيف وهمته حازت المعالي كلها فكان الرجل المأساة في تاريخه؟ فأردف قائلاً (المعري، ١٩٩٨):

ويطعنُ في علائي و إن شِئني ليأنفُ أن يكون له نِجادا

متأثراً بالمتنبي في قوله:

مَن كان فوق محل الشمس موضعه فليس يرفعه شيءٌ ولا يضغُ

ثم يقول فيما يليه من الأبيات بأنه قد بلغ غاية الكمال فلا يخشى انتقاصاً ولا يرجو زيادة فله من الشرف والفضل ما وصل بهما الثريا وبهر العباد (المعري، ١٩٩٨):

فلا وأبيك ما أخشى انتقاصاً ولا وأبيك ما أرجو ازديادا

لي الشرف الذي يطأ الثريا مع الفضل الذي بهر العبادا

وكم عين تؤمل أن تراني وتفقّد عند رؤيتي السوادا

ثالثاً: تجليات همّته علمياً:

وظّف المعري بعبقريته الفذة عدداً من المصطلحات العلمية في قوالب شعرية، وصنع منها صوراً وتشبيهات أدبية، سبق بها العلماء والمبصرين من الشعراء.
ومن ذلك قوله مَوْظَّفاً مصطلحات علم الهندسة والعروض في مدح أبي علي النهاوندي (المعري، ١٩٩٨):

و أنت فِكالُ دائرتي قريض وهندسةٌ حللتُ بها الشكولا

فقد كان ممدوحه بارعاً في علمي العروض والهندسة، فاستخدم المعري في مدحه مصطلح دوائر القريض (العروض) والهندسة، ليصوّر مدى سعة علم الممدوح فهو يستطيع فك دوائر العروض والهندسة فخاصبه بما يقتضيه مقامه -هذا من ناحية-، ومن ناحية أخرى هذه دلالة على تمكّن المعري من هذين العلمين أو معرفته بهما على الأقل، مما يحيلنا إلى أنه ذو إرادة وهمّة عالية، إذ كيف لضرب أن يُعنى بالعلوم الهندسية ثم يبلورها داخل قوالب شعرية؟ فكأنّه حين ضمّن مدحه هذا التصوير يسمو بالممدوح ويتسامى عليه في الآن ذاته.

ووظّف مصطلحات أخرى من علم العروض في ذات القصيدة، في قوله (المعري، ١٩٩٨) :

لشَرَفَتِ القوافي والمعاني بلفظك، والأخلّة، والخيلا

والشاهد: "القوافي"، "الخيلا"، إذ إنّ واضع علم القوافي الخليل بن أحمد الفراهيدي.

ومن ذلك أيضاً قوله في قصيدة مادحاً أبا أحمد البصري، صاحب الدولة في بغداد، حين كان مقيمًا عنده (المعري، ١٩٩٨):

ودادي لكم لم ينقسم وهو كاملٌ كمشطور وزنٍ، ليس بالمتصرّع

والمعنى: "أن ودي لكم كامل لم ينقسم وهو أشبه بالمشطور من بحر الرجز وأيضاً السريع حيث لا يمكن تصريعهما، لا يصرع لأنه على ثلاثة أجزاء و المشطور نصف البيت" (الطّباع، ١٩٩٨). والشاهد هنا استخدامه المصطلحات العروضية "المتصرّع" و "المشطور" لرسم صورة الودّ الذي يكتّنه للممدوح.

وقال موظّفاً مصطلحات من علم الطبيعة: (المعري، ١٩٩٨)

والبدر قد مدّ عمادَ نوره والليل، مثل الأدهم المقفّز

فالأدهم هو الفرس الأسود، والمقفّز هو الذي وصل التحجيل إلى ركبته، "فشبه نور القمر بالتحجيل في قوائم الجواد الأدهم وهو الليل في هذا السياق" (الطّباع، ١٩٩٨).

وقال موظّفاً مصطلحات من علم العقائد (المعري، ١٩٩٨):

قل للذي عرفت حقيقته به إذ لا يُقامُ على الدليل دليل

وقوله في التاريخ (المعري، ١٩٩٨):

لِتذكر قُضاعةُ أيامها وَ تُزّةُ بأُملاكها حمير

فعاملٌ كسرى على قريةٍ من الطّفِّ ، سيدها المنذر

المطلب الثاني: تجليات همّة المعري في اللزوميات :

افتتن المعري افتتناً أدق وأعمق من حيث اعتناؤه بلغته الشعرية في اللزوميات، إذ انماز شعره في هذا الديوان بمعانٍ "أتى منها بضروب يقصر عن إدراكها المتناول؛ فالغالب على معانيه فيه أنها تحتاج إلى تأمل و إمعان لدقتها و ارتفاعها عن مستوى العامة، وفيها ما يتوقّف فهمه على دراسة علم، وإطلاع واسع على التاريخ؛ لأنّه يكثر التلميح إلى العقائد، والحوادث التاريخية، والإشارة إلى رجال لهم وقائع مذكورة، وحوادث مشهورة" (الجندي، ١٩٩٢).

ومن المواضع التي تكشف عن همّته كما تجلّت في لزومياته، ما يلي:

١. همته في الأخذ والطلب، حيث قال: (المعري، ٢٠٠٠)

تفادى نفوسُ العالمين من الردى
ولا بُدَّ ، للنفس المُشيحة ، من أخذ
ترى المرءَ جبارَ الحياةِ ، و إن دنت
منيته ألفتته وهو مستحذي

إذ يحث نفسه على تفادي الهلاك والردى الواقع في نفوس أهل زمانه، والتسامي عليهم بالشيخ أي بالجِدِّ والأخذ والطلب و أن تكون نفسه جبارة متمردة على حوادث الدهر حتى إذا دنا وقت منيته يكون قد أخذ حقه وأدّى هدفَ وجوده فيموت عليه حينئذٍ أن يخضع و يُذلَّ أمام الموت، وأعزّو تأويلي هذا إلى قوله في سقط الزند الذي يُنبئ عن نظرتة العقلانية -وليس التشاؤمية الجبّانة- للموت مُمثلةً على ذلك بثلاثة مواضع:

أ- قوله: (المعري، ١٩٩٨)

فيا موتُ زُرْ إنَّ الحياةَ ذميمةٌ
ويا نفسُ جِدِّي إنَّ دهرَكَ هازلُ

ب- وقوله الذي يُدللُّ على أن الموت هو ضجعة راحة بين الدارين دار العمل (الدنيا) ودار الحقيقة (الآخرة): (المعري، ١٩٩٨)

تعبُ كُلُّها الحياةَ فما أعجب
إلّا من راغب بازديادٍ
ترى المرءَ جبارَ الحياةِ ، و إن دنت
فُ سرورٍ في ساعة الميادٍ
خُلِقَ الناسُ للبقاءِ فضَلَّتْ
أُمَّةٌ يحسبونهم للنَّفَادِ
إنّما يُنقلون من دارٍ أعمّا
لِ إلى دارٍ شِقْوَةٍ أو رشادٍ
ضجعة الموت رقدة يستريح فيها
الجسم والعيش مثل السهادِ

ج- إضافةً إلى أن أبا العلاء يعتبر الموت فضيلة تستحق المغامرة لوعورة مسلكه، وهذا حكم ذو نظرة عقلانيّة، فما كان من إرادته و علو همّته إلّا أن بات يسعى ويتنافس على نيل هذه الفضيلة، فهو القائل في لزومياته (المعري، ٢٠٠٠):

ويدلني أنّ الممات فضيلة
كؤن الطريق إليه غير ميسرٍ
لولا نفاسته لسئل نهجُه
كأذى الضعيف على لنيم المكسرِ

٢. همّته في التفكير بمذاهب العقائد الدينية، وحثه على ذلك، فهو القائل: (المعري، ٢٠٠٠):

والعقل يعجب للشروع: تمجّسٍ
وتحنّفٍ وتهوّدٍ و تنصّرٍ
فاحذر ولا تدع الأمورَ مُضاعفةً،
وانظر بقلبٍ مفكّرٍ مُتبصّرٍ

فالنفس إن هي أطلقت من سجنها فكأنها، في شخصها، لم تُحصَر

٣. همته في التعفف وعدم الاستجداء من الناس، من مبدأ قناعته بأن الله يتكفل بالأرزاق، كما في قوله (المعري، ٢٠٠٠):

والزُّزْقُ، يأتي ولم تُبسط إليه يدي
سَيَّان في ذاك إدنائِي و إقصائي
لَوْ أَنَّهُ في الثُّرَيَّا وَالسِّمَالِ أَوْ الشَّعْ
رى العبورِ أَوْ الشَّعْرى الغَميصاءِ

وقوله (المعري، ٢٠٠٠):

ويرزقني الله الذي قام حكمه
بأرزاقنا في أرضه متكفلاً

٤. همته في الكرم رغم قلة ماله، حيث قال (المعري، ٢٠٠٠):

إذا ورد الفقير على احتياجي
أعنتُ لهيفهُ بالمُسْتَدِفِ
ولو كان الكثيرُ لقلَّ عندي
واهونُ بالطَّيفِ المُسْتَطِفِ

٥. اعتداده بنفسه: في قوله (المعري، ١٩٩٨):

خذوا سيري فهنَّ لكم صلاح
و صلُّوا في حياتكم و زُكُّوا

وقوله (المعري، ١٩٩٨):

فاسمُغ كلامي و حاولْ أن تعيش به
فسوف أُعوِّزُ بعدَ اليوم طلاب

٦. همته في وضع معاني اللزوميات في قوالب علمية، مما يدل على سعة علمه، وقدرته على الابتكار. من ذلك:

• توظيفه لمصطلحات علم اللغة والنحو والبلاغة، حيث قال (المعري، ٢٠٠٠):

مفعولٌ خيرُك في الأفعالِ مُفتقدُ
كما تعدَّر في الأسماءِ فَعْلولُ

وقوله (المعري، ٢٠٠٠):

و (تُرْفَعُ) أجسادٌ و (تُنْصَبُ) مرّةً
و (تُخْفَضُ) في هذا الترابِ و (تُجَرَّمُ)

وقوله في البلاغة (المعري، ٢٠٠٠):

والطيرُ مثل الإنس تعرف رَها و ترى بها الشعراء و(الرجازا)
 فمهنٌ مسهابٌ، يُعدُّ، وناطقٌ تركّ المقال و أثر(الإيجازا)
 فاسأل ججاك، إذا أردت هدايةً واحبس لسانك أن تقول (مجازًا)

• توظيفه لمصطلحات في علم الفلسفة (المعري، ٢٠٠٠):

أما المكان فثابتٌ لا ينطوي لكنّ زمانك ذاهبٌ لا يثبت
 والنورُ في حكم الخواطر مُحدثٌ والأوليُّ هو الزمان المظلم

• توظيفه لمصطلحات في علم التجويد (المعري، ٢٠٠٠):

فإنّ تقفُ الحوادثُ دونَ نفسي فما يتركُنْ (إشمامي و زومي)

المبحث الثاني: دراسة فنية لقصيدة "ألا في سبيل المجد"

• الدِّراسة الفنِّية :

لقد تخرّبت إحصاء الجوانب الفنّية في شعر الهمّة على مشهدٍ كامل، خشيةً ألا تكتمل الصورة، فاخترت ما كان فيه ملمح الهمّة في أوج افتنانه، وقد كان ذلك جليًا في لامئته في الفخر بذاته، فعنيت الدراسة بتحليلها ودراستها فنيًا للكشف عن ذات المعري الأصيلة.

وابتداءً، لا بُدّ من الإشارة إلى أنّ لامئته المعري، على البحر الطويل، وهو بحرٌ مرغّب، في نغمه الجدة والجدة، وقد رسم لنفسه فيها صورة الفخ الشجاع الهمام، صاحب المجد والفضل، واضح المسلك والعقيدة، وسيُتضح ذلك في التحليل.

١. ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل عفافٌ وإقدامٌ وحزمٌ ونائلٌ

استفتحت الشاعر لامئته الفخرية بحرف الاستفتاح، محفزًا السامع أو القارئ لقصيدته على الاستعداد لمعرفة ما يريد التحدث عنه، وهو حديثه عن "طريق المجد"، فقدّم المسند "في سبيل المجد" على المسند إليه "ما أنا فاعل" للتخصيص، كأنه أراد القول؛ إنّ كل أفعالي وتصرفاتي تختص بسبيل المجد. ثمّ استخدم أسلوب التقسيم لبيّن ضروب سبيل المجد، فقال: "عفافٌ وإقدامٌ وحزمٌ ونائلٌ". والعفاف كما ورد في معجم الغني لأبي العزم هو: الامتناعُ، والانكفاءُ عمّا لا يحلُّ ولا يجملُ قولاً أو فعلاً، وقال البطليوسي إنّ: " (المجد: الشرف)، و(الإقدام: الجرأة)، و(الحزم: صفة التدبير)، و(النائل: العطاء؛ بمعنى النوال)" (السقا، ٢٠٠٢)، وأورد قول العرب المشهور: "قد أحزم لو أعزم"، فاستدرك على المعري عدم ذكره العزم مع الحزم ليكون أبلغ في غرضه الذي قصده، بيد أنّه ما لبث أن برّر له ذلك بقوله (السقا، ٢٠٠٢): "ولكنّ ذكره الإقدام أغناه عن ذكر العزم"، ولمّا كانت (الهمّة) كما أُشير في التمهيد هي "ما هُمّ به من أمرٍ ليفعله"، فإنّ المعري هنا قد هَمّ بفعل الأفعال التي تُكسبه ذروة المجد واستجمع أفضلها ورسمها في مقدمة قصيدته مفتخرًا بها، موجّهاً همّته إليها.

وسنتملّس كيف حقّق المعري هذه الأفعال من خلال الأبيات في القصيدة.

٢. أعندي وقد مارستُ كلّ خفيّةٍ يُصدّقُ واهٍ أو يُخيّبُ سائلُ

استعان الشاعر بأسلوب الاستفهام الاستنكاري مع الاعتراض، كأنّه أراد القول: "بعد أن فصّلت في سبيل المجد التي اكتسبتها أنفأ، ومارستُ كل الأمور وتقلبت عليّ الأزمان أصدّق عندي واهٍ أو يُخيّبُ سائلٌ؟" (السقا، ٢٠٠٢) واستخدمه لصيغة (فاعلت: مارسْتُ)، من قولهم: "رجلٌ مرّسٌ وممارس: صبورٌ على مراس الأمور" (السقا، ٢٠٠٢)، كناية عن كثرة تجربته لكثير من الأشياء وتبحره فيها، وهذه الزيادة لمّا حصرها بأداة من أدوات العموم "كلّ" فإنّه كثّف معناها لتصبح بمعنى (فعل) المضاعف للتكثير، فهو أكثر من مراسها، وصبر على ممارستها والخوض فيها، كناية عن همته.

وقال البطليوسي: "العرب تسمي كل من نَقَّ الباطل و زَيَّنَه واشتقاقه من قولهم: وشيتُ الثوب أشيه" (مصطفى، ٢٠٠٢): ، فهنا صَوَّر المعري من يزين الباطل ويجري به بين الناس كمن ينمق الثوب، وهذا تشبيهه دارج عند العرب، لكنَّ إبداعه تجلَّى في اختياره هذه اللفظة دون مرادفاتِها، فقد استخدم اللفظة التي تطابَّق فيها المعنى مع الصوت، إذ إنَّ "الْوَشْي: صوت النَّمَام" (ياسين، ٢٠١٠) كما ورد في معجم الأصوات.

وقوله "يُخَيَّبُ سائلٌ"، كناية عما ألزم به نفسه من سبيل المجد وهو "النائل". ولما قال "وقد مارسْتُ كلَّ خفية"، يوازيه المثل القائل: "دوام الحال من المُحال"، كأنه أراد القول: إنَّ الحل الأمثل في طريق المجد هو الممارسة والمعاناة، كناية عن الإقدام.

٣. إذا هَبَّت النكباءُ بيني وبينكم فأهونُ شيءٍ ما تقولُ العواذلُ
يقول التبريزي: "النكباء: كل ريح تهب بين مربي ريحين. ومعناه: إذا بعد ما بيني وبينكم فأهون شيءٍ قولٌ يقالُ خلفي" (السَّقا، ٢٠٠٢)، وذلك عائد إلى حزمه الذي اتضح في إنكار تصديق الوُشاة، إذ هو لا يبالي بذلك. لأنه يدرك أنَّ ما يقوله العواذل ورائه عائدٌ إلى أنهم مخضَّبون بالجهل، فهو يعاملهم كالجمادات، وقد ورد ذلك في قصيدة أخرى، في قوله (المعري، ١٩٩٨):

رويدك، أيها العاوي ورائي لِتُخبرني متى نطق الجماد ؟

٤. تُعدُّ ذنوبي عند قومٍ كثيرة ولا ذنب لي إلَّا الغلا والفواضل
يقول: "ما أكثر ذنوبي وعيوبي عند بعض الناس، وإن كان لي ذنب أو عيب فليس إلا شغفي بالمعالي والمكارم" (الطَّبَّاع، ١٩٩٨)، وقد صَوَّر المعالي و الفواضل التي يتحلَّى بها ويسعى لاكتسابها بالذنوب بِجامع الشهرة في كلِّ منهما، وهذا أسلوب "تستعمله العرب إذا قصدوا المبالغة في المدح، فيقولون: ما في فلان عيبٌ إلا الكرم، ومعناه أنه لا عيب فيه البتة إلا أن يعتقد قوم أن الكرم عيب، فيعد ذلك في ذنوبه ومعائبه، ووجه ذلك أنَّ الخسيس الطبع لما كان مضاداً للكرم الطبع، صار يعتقد في المحاسن قبائح، وفي القبائح محاسن، لأنَّ خساسة همته ونقصان فطرته قد صَوَّرا في نفسه الأمور بخلاف الحقائق" (السَّقا، ٢٠٠٢)، ومن خلال هذه الصورة الشعرية نجد المعري قد قدَّم أمرين:

أولاً: أنه قد بالغ في الفخر بذاته العالية، والشغف الذي تملكه لنيل شرف المجد، وهذا دليل أصيل على علو همته. ثانياً: من خلال الصورة التي رسمها في أنَّ ذنبه الوحيد العلا والفضائل، قدَّم نقدًا اجتماعيًا لانقلاب القيم والحقائق الإنسانية والحيد عن الفطرة السليمة، فاتصفت حقائق نفوس الأفراد بالوضاعة، وهذا الوضع الاجتماعي بلا ريب يعد عقبة في طريق الفرد الذي يسعى للتفرد بمعالي الأمور، لذا كان يتعفف عن إجابته.

٥. كَأَنِّي إِذَا طَلْتُ الزَّمانَ وأهله رجعتُ وعندي للأنام طوائِلُ
قال التبريزي: "يقال: طلْتُ فلاناً أطولُه، إذا فقته" (السَّقا، ٢٠٠٢)، وقال الخوارزمي: بينهم طائلة، أي عداوة وشحناء، وجمعها طوائِل " (السَّقا، ٢٠٠٢).

استخدم الشاعرُ في صورته الشعرية هنا أسلوب التجسيد، حيثُ جسَّد الزمان على هيئة شخصٍ فاقه وتعالى عليه بفضائله ومعاليه ثم فاق أهله، فلما فاقهم ورجع إليهم احتدمت العداوة والبغضاء بينهم. ووجه تفوقه على الزمن أنه كان يُسارع ويجتهد في تحقيق سبيل المجد قبل أن يغدر به الزمن، - حيث ذكر أنه يتقلب عليه بقوله "وقد مارسْتُ كل خفية" - ويحيله إلى الموت قبل أن يخلد مآثر مجده، ويشير إلى هذا المعنى قوله (المعري، ١٩٩٨):

تخيَّرتُ جهدي لو أصبْتُ خياراً وطرتُ بعزمي لو أصبْتُ مطاراً

أما وجه تفوقه على أهل زمانه فكان بتجاهلهم واستكمال السير في معالي الأمور دون الالتفات للعواذل والوشاة.

٦. وقد سار ذكري في البلاد فمن لهم بإخفاء شمسي ضوءها متكامل؟
حقق المعري سيرة مجده بـ "قد سار" في جميع بلاد الدنيا، وقد ذكرت المصادر أن شأن المعري كان عظيمًا، فما كان يقال: معرفة النعمان، إلا وقيل: شاعرها المعري، فكيف لهم أن يقدرُوا على إخفاء شمسي ضوءها مشع في كل البلاد، وهنا صَوَّر نفسه "بالشمس" التي

يسطع ضوءها في كل البلاد، كناية عن شهرته وإنجازاته في ذلك الوقت، فهو لما فاق الزمان وأهله سعى الوشاة والغدال أن يخفوا فضله عن هذه البلاد، ولكن أتى لهم أن يستطيعوا ذلك؟ وفي هذا البيت تضمين لقول الأصوص (من شعراء العصر الأموي) (الطَّبَّاع، ١٩٩٨):

إني إذا خفي الرجال وجدتني كالشمس لا تخفى بكل مكان

٧. يَهْمُ اللَّيَالِي بعض ما أنا مُضمَرٌ ويُثقلُ رضوى دون ما أنا حاملٌ في البيت صورتان:

• يَهْمُ اللَّيَالِي بعض ما أنا مُضمَرٌ:

صَوَّرَ الليالي إنساناً يصيبه الهم بسبب بعض ما يضمره الشاعر (المعري) في نفسه من همٍّ لبلوغ طريق المجد وسلوك طريق الفضائل والانتصار على صراع الزمان وأهله، حتى كأنه صَيَّرَ الليالي قريباً وأنيباً له على طول الطريق، ولنلاحظ أنَّ الليالي جزء من الزمن!

وأصل التركيب النحوي: يَهْمُ بعض ما أنا مضمَر الليالي، ولكن الشاعر قد جعل الليالي مُقدِّمةً في موقع المفعولية لتكثيف إرادة إيقاع العامل "يَهْمُ" بها من قِبَلِ الفاعلية "بعض ما أنا مضمَر"، والأصل في شأن الليالي وما تضمه حوادثها أن تجعل الإنسان مهموماً، فتكون الليالي فاعلاً ويكون الإنسان "الشاعر هنا" مفعولاً به، فيكون الحكم لها، والإنسان محكومٌ عليه بفعلها، ولكن المعري قد قلب الآية ورسم هذه الصورة بشكل مراوغ بحيث يجعل من الزمن (الليالي) تابعاً له، فهو قد أسر كل البلاد بذكره (الأماكن)، ثم أُنْجِهَ نظره إلى العنصر الأهم "قضية الزمن" التي كانت تؤرقه، فسيطر عليها من خلال أفعاله بها.

• ويُثقلُ رضوى دون ما أنا حاملٌ

يثقل أي يحتمل فوق طاقته، "رضوى: اسم جبل، دون: شيء دون" (السَّقا، ٢٠٠٢)

صَوَّرَ الجبل إنساناً يثقل كاهله أقلُّ ممَّا يحمله الشاعر من أعباء وهموم، وهو لما اختار الجبل الذي يعد مثلاً في القوة والصلابة فإنه قد أقام مقابلةً بينه وبين الجبل، فكان الجبل ضعيفاً أمام قوته التي يسعى بها لبناء مجده، فالجبل على قوته لا يقدر على تحمُّل ما يقدر عليه المعري. كما تجدر الإشارة إلى أنه قد استخدم عنصراً من عناصر المكان "الجبل" وهو أقوى عنصر.

و أصل التركيب النحوي: يُثقلُ دون ما أنا حامل رضوى، فقد قدم المفعول به وأخر الفاعل، إشارَةً إلى قوله تعالى:

"إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ" (الأحزاب: ٧٢)

وهذا كناية عن اقتداره وصحة حزمه وإقدامه في سبيل المجد.

وفي البيت تضمين لقول أبي القاسم عبد الله بن محمد اليزيدي (٢٨٤هـ) (السَّقا، ٢٠٠٢):

صبرتُ على ما لو تحمَّلَ بعضُه جبال شَرُورَى أوشكت تتصدَّعُ

٨. وإني وإن كنتُ الأخيرَ زمانُه لآتٍ بما لم تستطعه الأوائلُ

يقف المعري بهذا التأكيد متحدِّياً زمنه، حتى لو قام الزمن بفعل "التأخير" له، فإنه سيتقدم وسيأتي بما لم يستطعه الأوائل.

٩. وأعدو وُلُوْأْنَ الصِّباحِ صوارمُ وأسري ولو أنَّ الظَّلامَ جحافلُ

يقدم المعري في هذين البيتين صورتين شعريتين يبيِّن من خلالهما حزمه وإقدامه في تحقيق معالي الأمور، من خلال أسلوب المطابقة بين تركيبي الشطر الأول من البيت، والشطر الثاني منه، وما في كلا الصدر والعجز من تصويرٍ فني، حيث صور الصباح بالصوارم (السيوف) التي تُسَلُّ عليه، ومع ذلك هو يغدو ولا يأبه له. وصوَّرَ الظلام بالجحافل (الجيوش)، ومع ذلك يستمر في سريانه في هذا الليل. وهذان التشبيهان كناية عن أنَّه مستمرٌّ في صراعه مع الزمن، ولا يسمح للزمن بأن يثنيه أو أن يبعده عن مرامه فهو يجاهد ويكابذ من أجله. ولنلاحظ أنَّه استخدم الفعلين بصيغة المضارع التي تدل على التجدد والاستمرار والمداومة.

١٠. وأيّ جوادٍ لم يُخلَّ لجأه ونضويمانٍ أغفلته الصياقل

صوّر نفسه بالجواد الذي لم يُزَيّن لجأه، وبالسيف الذي أغفل الصيّقل صقله، و" (أي) كما وردت عند البطليوسي تستعمل في المدح والتعظيم، كقولك: أي رجل زيد" (السّقا، ٢٠٠٢). فالمعري بهذه الصورة المركبة في البيت ضرب مثلاً لتعظيم نفسه فكان الاستفهام على سبيل التفخيم والتعظيم.

وقد " جرت العادة في أشعار العرب أن يكون الخيل من أهم رموز السرعة" (بطش، ٢٠٠٥)، والشاعر هنا لمّا شبه نفسه بالجواد، كنى بهذا التشبيه عن صفة السرعة والإقدام، حيث تأصّلت في ذاته، كما أنه قد ابتدأ تشبيهه بأي، في موضع الجملة الاسمية، والجملة الاسمية دالّة على قطعية ثبوت الصفة في سائر الأزمنة، فكانه جرّد نفسه من مفعولات الزمن، فغداً سريعاً أبداً الدهر.

١١. وإن كان في لبس الفتى شرفٌ له فما السيف إلا غمده والحمائل

وهذا البيت تتميم لمعنى البيت السابق، حيث يوحى بأن المعنى في جوهر الفتى وليس بمظهره الخارجي، ومن أجل بيان هذا المعنى، يقابل لبس الفتى بغمد وحمائل السيف، ويقابل شرف الفتى بمضاء السيف وحدّته، فيقول لو كان لباس الفتى يؤتیه الشرف والرفعة، فجودة السيف وحسنه تنحصر بجودة غمده وحمائله لا بمضائه وما كان من شأنه في المعارك.

١٢. ولي منطقٌ لم يرضَ لي كُنّه منزلي على أنّي بين السّماكين نازل

يقول لي منطق لم يقبل لي مقدار هذه المنزلّة التي وصلت إليها رغم رفعها وعلوّها، ويطلب مني منزلة أعلى منها، وهذا كناية عن شغفه بالمعالي والمكارم. المعري هنا كثّف صورة ذاته حين أشار إلى " السّماكين وهما نجمان عملاقان أحدهما هو (السماك الراجح) في كوكبة (العواء) أو الراعي، والآخر هو (السماك الأعزل) في كوكبة (العذراء البروجية)، والسماك الراجح ألمع من السماك الأعزل وقد تردد ذكرهما كثيراً في شعر العرب" (مشارّة، ٢٠٠٩)، حيث جعل منزلته الأدبية (منطقه) سامية بين هاتين المنزلتين للسّماكين، وهذا دليل واضح على غلو همته.

١٣. لدى موطنٍ يشتاقه كلُّ سيّدٍ ويقصُرُ عن إدراكه المتناول

يقول: هذا المنطق يضغني عند موطنٍ، يروم كلُّ سيّدٍ أن يصل إليه، ويعجز عن إدراكه وبلوغه كل من يريد تناوله مني، لأنّه لا همة له على طول الإدراك. أمّا المعري فله همة عظيمة، حيث استأنف قوله في البيت التالي :

١٤. تُخَيّرُ عندي همّي كلّ مطلبٍ ويقصُرُ في عيني المدى المتناول

صوّر همّته من خلال تجسيدها بشخصٍ يُحقّرُ كل المطالب في سبيل تحقيق غايته (طريق المجد)، وهذه صورة مبالغ فيها ليبين منزلته بين الأنام، حتى بات المدى المتناول أي الأشياء بعيدة المنال قصيرة في نظره. ولنلاحظ أنّه استخدم (عن) في عجز البيت الأول "ويقصر عن إدراكه المتناول" ليجاوز فرصة إدراك الفضائل عن المتناولين غيره، واستخدم (في) في قوله: "ويقصر في عيني المدى المتناول" ليفيد دخول غايته وفضائله في الزمان والمكان بعد مرورها أمام ناظره، وهذه صورة بليغة بيّن من خلالها أعلى درجات الهمّة.

١٥. ولما رأيتُ الجهل في الناس فاشياً تجاهلت حتى ظنّ أنّي جاهل

قال الخوارزمي: "تجاهل، أرى من نفسه أنه جاهل وهو ليس به" (السّقا، ٢٠٠٢)، وذلك أنّ الزيادة في الفعل تجاهل على وزن (تفاعل) تفيد التظاهر، كقولنا: تمارض الكسول، فهو ليس مريضاً، وإنما يتظاهر بالمرض، فالمعري هنا ليس جاهلاً، ولكنه يتظاهر بالجهل، حتى ظنّ أهل زمانه أنه جاهل بالأصل. لكن الحقيقة أنه استعمل الجهل مع مَنْ جَهِل عليه، وهذا المذهب الأول من مذاهب العرب في موضوع الجهل قياساً على ما جاء في شرح الديوان لهذا البيت الذي جمع فيه المعري مذهب العرب كاملاً في موضوع الجهل، وهو قوله (المعري، ١٩٩٨):

جَهِلْتُ فلماً لم أر الجهل مغنياً حُلُمْتُ ، فأوسعتُ الزمان وقاراً

المذهب "الأول" هو أن يقابل الجهل بالجهل، والثاني: هو أن نعرض عن الجاهل لأنّ هذا أبلغ في ردعه وإذلاله. وفي البيت تضمين لقوله تعالى: "خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ" (الأعراف: ١٩٩)

١٦. فواعجبا كم يدعي الفضل ناقصٌ ووأسفا كم يُظهِرُ النَّقْصَ فاضِلٌ

يقول البطليوسي: " هذا من الكليم البديع الحسن الذي يدل على حذق قائله بصناعة الشعر؛ لأنه قرن العَجَبَ بإِعاء الناقص للفضل، والأسف بإظهار الفاضل للنقص" (السقا، ٢٠٠٢)، وقَدَّم المفعولين "الفضل" و "النقص" ليبالغ في العجب والأسف. ويُستشفُّ من تعجب المعري في الحالة الأولى، وتأسفه من الحالة الثانية دعوةً مبطنّة إلى أن يكون المرء متزناً في ذلك.

١٧. ينافس يومي فيّ أمسي تشرُّفاً وتحسدُ أسحاري عليّ الأصائل

يُنافس على وزن " يُفاعل " والزيادة تفيد المشاركة، والمنافسة تكون على الشيء النفيس الغالي، فصوّر الشاعر يومه وأمسّه شخصين ينافس كلُّ منهما الآخر، من أجل " التشرف به " فأصل التركيب؛ (ينافس يومي أمسي فيّ تشرُّفاً)، ثمَّ صوّر الأسحار والأصائل شخصين يتحاسدان بُغْيَةً " التشرف به" كذلك. كأنّه يقول: " كل وقت من الزمان يوَدُّ أن أكون فيه دون سائر الأوقات، فوصف أولاً أنَّ أمسّه ينافس فيه يومه، ثم زاد مبالغةً بأن وصف أنَّ أصيل يومه يحسد عليه سحره " (السقا، ٢٠٠٢)

والصورة مركبة من حيث جمعه بين صورتين في البيت الواحد، وبليغة من حيث صارت "منافسة (محاسدة) الأصيل للسحر أبلغ من منافسة الأمس لليوم الذي هو فيه لأنَّ الأصيل والسحر يجمعهما يوم واحد، والأمس واليوم الذي يشتمل عليه مختلفان، لأنه يمكن أن يحصل في الأصيل ولا يمكن أن يعود إلى الأمس " (السقا، ٢٠٠٢).

ولمّا جعل المعري أمسّه ينافس فيه يومه وأسحاره تحسد عليه أصائله، فهو قد شغل الزمان كما كانت غايته حين قال: " كَأَنِّي إِذَا طُلْتُ الزَّمانَ و أهله .."، كأنّه بذلك يسيطر من خلال شعره على حوادث الزمن.

١٨. وطال اعترافي بالزمان وأهله فلسْتُ أبالي مَنْ تَغُولُ الغوائل

بعد أن صوّر أوقات زمانه وأيامه تتنافس فيه وتتحاسد عليه للتشرف بكينونته فيها، يذكر حقيقة اعترافه بغوائل (مهلكات) الزمن وتلثيته فيها أمداً طويلاً، وهو القائل: (وقد مارستُ كل خفيّةٍ)، فأصبح مجرباً خبيراً لا يبالي بها. وهذا البيت يدل على الحقيقة المتعمّقة في نفسية أبي العلاء المعري تجاه تأملاته في الزمان، حيث قال البطليوسي: "الاعتراف هاهنا بمعنى المعرفة، وهو أبلغ في المعنى من المعرفة لأنَّ هذه الزيادة إذا كفت الفعل دلّت على زيادة في المعنى" (السقا، ٢٠٠٢)، فهو لم يكتفِ بمعرفة خطوط الزمن، بل تعمّق في ممارستها حتى أنتج من هذه المعرفة حقيقة واعترافاً.

١٩. قلوبان عضدي ما تأسّف منكبي ولومات زندي ما بكته الأنامل

استعار التأسّف للمنكب على سبيل الاستعارة المكنيّة حيث حذف المشبه به وأبقى شيئاً من لوازمه، وخصّ المنكب بالتأسّف لأنَّ " المنكب يوصف بحمله للأشياء الثقيلة وتقلّده للأمور الجليّة " (السقا، ٢٠٠٢)، فكان هذا الوصف في نفي التأسّف عنه كنايةً عن العبء الذي أثقل كاهله، كما أشار إليه سابقاً " ويثقل رضوى دون ما أنا حامل"، فهو لا يتثقل ولا يتأسّف، و(لو): تفيد امتناع الامتناع، واستعار البكاء للأنامل لأنَّ " الأيدي تُوصف بالندوة والانسكاب وتشبّه بالبحر والسحاب " (السقا، ٢٠٠٢)، وقد نفى عنها البكاء الذي يخفف ثقل الأسف - لو كان قد تأسّف - في أعظم خطوط الدهر "الموت"، حيث استعار "الموت" للزند، وعدل عن "بان: من البين" لأنَّ الموت أهول الخطوب وأعظم على المكروب من حيث كان مَنْ بان يرجى اقترابه والميّت لا يؤمّل إيباه، فإذا كان لا يبكي للأعظم والأكبر فهو أخلق بالأبكي للأقل الأصغر" (السقا، ٢٠٠٢)

٢٠. إذا وصف الطائيّ بالبخلٍ مَادِرٌ وَعَيْرُ قُسًا بالفهّاهةِ باقِلٌ

يشير إلى حاتم الطائي، الذي يضرب به المثل في الكرم عند العرب، ومادر: هو رجل من بني هلال ابن عامر بن صعصعة، ويضرب به المثل في البخل، وقس: هو قس بن ساعدة: من حكماء العرب وأول من خطب متوكّناً على عصا، وأول من قال: أمّا بعدُ، وباقل: هو رجل من إباد، يضرب به المثل في الفهّاهة (العجّ) " (السقا، ٢٠٠٢).

فالشاعر يصوّر انقلاب القيم والموازن في مجتمعه، حيث يصف البخيل الكريم بالبخل، ويصف العجّي الخطيب بالعجّ والفهّاهة، فماذا بعد ذلك من فساد؟ وقد قدّم المفعول به في صدر البيت وعجزه (الطائي- قُسَن) على الفاعل (مَادِر- باقل) لإثارة الحسرة والأسى في نفس المتلقّي من ناحية، وليشير إلى تأسفه وتحسّره إزاء هذه الحال التي آل إليها صاحب الفضل والقيم العليا من ناحية أخرى.

٢١. وقال السّها للشّمسي: أنت خفيّةٌ وقال الدُّجى: يا صبيح لوئكَ حائلٌ

يشير المعري هنا إلى نجم هو (السها)، قال صاحب تاج العروس: " وَهُوَ كوكبٌ خَفِيٌّ فِي وَسْطِ البَنَاتِ (وَهُوَ السُّبَى) " (الزبيدي، ١٩٦٥)، وقد " كانت العرب تمتحن به قوة البصر عندهم " (مشارفة، ٢٠٠٤)، ومن أمثال العرب: "أريها السها وتريني القمر" (الميداني، ١٩٥٥)، هذا يبرزُ ابتداءً ثقافة المعري بعلم الفلك، ودرايته بأمثال العرب، فهذا المثل "يضرب لمن يُغالط فيما لا يخفى" كما ذكر صاحب مجمع الأمثال، أما المعنى الذي أراده من البيت فمشابّهة للمعنى في البيت السابق، إذ إنّ السها الذي يعد

مضرب المثل في الخفاء يتّهم الشمس بذلك، والشمس في الأصل هي مضرب المثل في الجلاء، ثم يقابل بين الدجى والصباح على ذات الصورة، إذ يخاطب الدجى (وهو شدة الظلمة) الصباح قائلاً: ياصبح لونك حائل؛ (أي : مُتغير كما ورد في لسان العرب)، وهذه الصور كناية عن فساد القيم والأخلاق في مجتمعه.

ومن بلاغة المعري أن قابل بين السها الذي هو فرعٌ من الدجى (الليل)، وبين الشمس التي هي فرعٌ من الصبح بصفة الخفاء، فجعل الخطاب بين الفرع و الفرع أولاً، ثم كَثَّفَ تأزم الفساد بأن جعل الأصل يخاطبُ الأصل؛ أي الدجى يخاطبُ الصُّبح بصفة الحيلولة. واستخدم صفتي (خفيّة – حائل) على وزن الصفة المشبهة التي تدل على الثبوت، كأنّ الذي أصبح يصدر الأحكام رغم ضعفه، يُسمع له .

٢٢. وطاولت الأرض السّماء سفاهةً وفاخرت الشُّهبُ الحصى والجنادلُ

قال البطليوسي: " طاولت، يجوز أن يكون فاعلُ من الطُّول، الذي هو الفضل، أي ادّعت أنّ لها فضلاً عليها، ويجوز أن يكون من الطُّول، الذي هو ضد العرض " (السّقا، ٢٠٠٢)، وهذان المعنيان قد ضمّتهما الجاحظ على سبيل التهكم والسخرية من أحمد بن عبد الوهاب في رسالة التريب والتدوير، حيث قال: " ولم أزل أراك تُقدِّم العرض على الطول وتزعم أنّ الأرض لم تُوصَفْ بالعرض دون الطول إلّا لفضيلة الطول على العرض ... وقلت: لولا فضيلة الطول على العرض لما وصَفَ الله سبحانه وتعالى الجنة بالعرض دون الطول إذ يقول جلّ ثناؤه: (جنة عرضها كعرض السماوات والأرض) " (الجاحظ، ١٩٥٥)، إذن فالمعري قد وظّف هذه الصورة في سبيل السخرية من هذا المجتمع وتقلباته، ويكأنه لجأ إلى أسلوب الاحتجاج بالأدلة المناقضة الذي كان يعتمله الجاحظ في مناظراته التي كانت في سياق السخرية من أدعياء الكتابة والثقافة في عصره.

وفي البيت تصوير باستخدام أسلوب التشخيص بأن جعل الأرض صاحبة فضل على السماء . وهذه الأبيات الثلاثة في جملتها أراد المعري من خلالها أن يكشف عن فساد الحياة الاجتماعية في العصر العباسي وانحطاطه في وقته، وما آل إليه حال أصحاب الفضل آنذاك . وربما أراد تفصيل البيت الذي وضّحناه آنفاً، وهو :

تُعَدُّ ذنوبي عند قومٍ كثيرة ولا ذنب لي إلا العلا والفواضلُ

٢٣. فيا موتُ زُرْ إنّ الحياة ذميمة ويا نفسُ جِدِّي إنّ دهرَكَ هازلُ

يَعُدُّ أن رسم المعري العلاقات و الصُّور بين هذه الثنائيات المتضادة، لتصوير ذلك المسخّ القائم في المجتمع، كما يلي:

(الكرمُ الطَّائِي) ⇨ (البخلُ المادري) و (البليغُ قُس) ⇨ (الفهيءُ باقل)

(الشمس ⇨ السُّها) و (الصُّبح ⇨ الدُّجى)

(الأرض ⇨ السّماء) و (الشُّهب ⇨ الحصى والجنادل)

فإنه - في هذا البيت- نادى الموت (مستغيثاً) به ملتمساً زيارته، ليخلصه من الصورة التي تأكدت له عن ذمامة الحياة في هذا المجتمع، حيث قال: "إنّ الحياة ذميمة".

وقد شبّه الشاعر الموت بإنسان تُلْتَمَس زيارته، ففي زيارته خلاصه من هذا التناقض الذي ملأ حياته، وقد بدا في حالٍ لا يطيق بعدها اصطباًراً. إضافةً إلى أنّه لما طلبَ بذاته من الموت أن يزوره، ولمّا كان الموت أعظم خطوب الدَّهر حيث أشار في استعارته "ولو مات زندي ما بكته الأنامل"، فإنّه يبدو بهذا الطلب قد سما بنفسه إلى الحقيقة العالوية في تساميه على الدهر وخطوبه، ودعوته إياهما قبل أن يشيا به.

ثم يبالغ في ذلك بالتماسه الجِدَّ من نفسه أمام هذا الدَّهر الهازل، والهَزَل كما ورد في لسان العرب: نقيض الجِدِّ، هَزَلٌ يَهْزُلُ هَزْلاً، فالمعري هنا قلب صورة الدهر، إذ إنّ الأصل أن يجِدَّ الدهرُ بالإنسان رغم جِدِّه فيه، ودليل ذلك قول الكميت:

أرانا على حُبِّ الحياة وطولها تَجِدُّ بنا في كل يوم وهَزَلُ

فالحياة فاعلة في الإنسان عبر الزمن عند الكميت، لكن الشاعر - المعري- في بيته هنا، ثبَّت بالصفة المشبهة -هازل- (فاعل بمعنى فاعيل) صفة الهزل في روح الدهر، وكان هو صاحب الجِد المستمر بفعل الأمر (جِدِّي)، فتسامى على الزمن مرة أخرى وتحكّم به، ولو في خياله الشعري. وهذا يحيل إلى القول بأنّ بلاغة المعري وهمته فاقت مُجريات الدَّهر التي تقع عليه.

٢٤. وَقَدْ أَغْتَدِي وَاللَّيْلُ يَبْكِي تَأْسُفًا عَلَى نَفْسِهِ وَالنَّجْمُ فِي الْغَرْبِ مَائِلٌ (٢)

استعار البكاء لليل الذي صوّره إنساناً يبكي تأسفاً على سبيل الاستعارة المكنية حيث حذف المشبّه به (الإنسان)، وأبقى شيئاً من لوازمه (البكاء)، وهذا يلتقي مع قوله في عجز بيت سابق: "وتحسد أسحاري على الأصائل"، فالليل هنا يبكي متأسفاً على نفسه لأنه فارق المعري وقت الغدو، والشاعر بذلك يرفع مكانته أمام عناصر الزمن، كناية عن علو همّته أيضاً، فالزمن يتأثر به، لا العكس.

٢٥. بِالرَّيْحِ أُعِيرَتْ حَافِرًا مِنْ زَبْرَجِدٍ لَهَا التَّبَرُّجُ جِسْمٌ وَاللَّجِينُ خِلَافُ

بالريح: أي بالفرس كما ورد عند البطليوسي (السّقا، ٢٠٠٢)، كناية عن سرعتها، وشبه الجملة متعلق بالفعل السابق (أغتدي)، وهذه الفرس لها حافرٌ مُعَارٍ من الزبرجد الأخضر، كناية عن صلابتها، ثم صوّر جسم هذه الفرس تبرّجاً (ذهباً)، كناية عن أصالها، كما صوّرها حسناء تترنّن بخلافٍ من فضة. ويكمل المعري في الأبيات التالية وصف فرسه، التي يسعى معها في طريق المجد من خلال ذكر أوصاف الخيل الأصيلة.

٢٦. إِذَا اشْتَاقْتَ الْخَيْلَ الْمَنَاهِلَ أَعْرَضْتُ عَنْ الْمَاءِ فَاشْتَاقْتَ إِلَيْهَا الْمَنَاهِلُ

يصوّر الشاعر الخيل - اسم جمع - إنساناً يشاق إلى مناهل الماء لكنّها مع ذلك تُعْرِضُ عنها، لدرجةٍ تستحيل فيها المناهل إنساناً يشاق إلى ورود الخيل إياها، وبهذا الوصف تضمّن البيت كنايتين، فهو لما قال: اشتاقت إليها المناهل؛ فهذه كناية عن حاجة الخيل الماسة للماء وتمنعها عنه في الآن ذاته، ولما قال: أعرضت، فهذه كناية عن الصبر الذي تحلّت به الخيل، مما اضطرّ المناهل أن تشاق للخيل، وقد ضمّن هذا المعنى في بيت آخر له، في قوله:

وما وَرَدَتْهَا مِنْ صَدْيٍ غَيْرِ أَثَمَا تُرِيدُ بِوَرْدِ الْمَاءِ حِفْظَ الْمَسَاجِلِ

ثم يستأنف وصف الخيل، وقد رافقه وأنسه في كل أوقاته:

٢٧. وَلِيْلَانِ حَالٍ بِالْكَوَاكِبِ جَوْرُهُ وَأَخْرُ مِنْ حُلِيِّ الْكَوَاكِبِ عَاطِلُ

٢٨. كَأَنَّ دُجَاءَ الْهَجَرِ وَالصُّبْحُ مَوْعِدٌ بِوَصْلٍ وَضَوْءُ الْفَجْرِ حُبٌّ مِمَّا طِلُ

٢٩. قَطَعْتُ بِهِ بَحْرًا يَعْجُبُ عِبَائُهُ وَلَيْسَ لَهُ إِلَّا التَّبَلُّجُ سَاحِلُ

٣٠. وَيُؤْنَسِي فِي قَلْبٍ كُلِّ مَخْوَفَةٍ حَلِيفُ سُرَى لَمْ تَصُحْ مِنْهُ الشَّمَائِلُ

٣١. مِنَ الزَّيْجِ كَهْلُ شَابٍ مَفْرَقَ رَأْسِهِ وَأُوثِقَ حَتَّى نَهَضَهُ مُتَثَاوِلُ

٣٢. كَأَنَّ التُّرْبَا وَالصَّبَاخَ يَزُوعُهَا أَخُوسَقَطَةٍ أَوْ ظَالَعٍ مُتَحَامِلُ

٣٣. إِذَا أَنْتَ أَعْطَيْتَ السَّعَادَةَ لَمْ تُبَلِّ وَإِنْ نَظَرْتَ شَزْرًا إِلَيْكَ الْقَبَائِلُ

الشّرّز كما عند الخوارزمي: "هو نظّر في إعراضٍ كنظر المُبَاغِضِ" (السّقا، ٢٠٠٢)، يقول إذا أنت وهبت السعادة وأسبابها التي تأتت من خوضك في دروب المجد وهمتك النامية في الشغف إليها، فحينئذ لا تُبال بأقوال العُدّال، حتى لو نظروا إليك نظرة البغض و الحسد وكراهية المجد، حتى لو عدّوك معيبياً فلا تُبال.

٣٤. تَقْتَلُكَ عَلَى أَكْتَفِ أَبْطَالِهَا الْقَنَا وَهَابِتُكَ فِي أَعْمَادِهِنَّ الْمَنَاصِلُ

تقتك، أي تجنّبك القنا (الرماح) التي يحملها الأبطال، وهابتك السيوف وهي في أعمادها، كناية عن شجاعته وخوف أعدائه منه، فما كان منهم إلا "حديث الوُشاة" الذي لا فائدة منه.

٣٥. وَإِنْ سَدَّدَ الْأَعْدَاءُ نَحْوَكُمْ أَسْهَمًا نَكْصَنَ عَلَى أَفْوَاهِهِنَّ الْمَعَابِلُ

ثم يقيم جدليّة بأسلوب الشرط، مؤدّاها: أنّه حتى لو افترضنا وقام الأعداء بتصويب أسهمهم إليك، رجعت المعابل (أي: المناصل) منهم إليهم. تضمين معنى دعاء "واجعل كيدهم في نحركم"، ويؤكد ذلك قوله في الأبيات الأولى:

إِذَا هَبَّتِ النُّكْبَاءُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ فَأَهْوَنُ شَيْءٍ مَا تَقُولُ الْعَوَازِلُ

٣٦. تَحَامَى الرَّزَّاءُ كُلَّ خُفٍّ وَمَنْسِمٍ وَتَلَقَّى رِدَاهُنَّ الدُّرَى وَالْكَوَاهِلُ

تحامى، على وزن تفاعل الذي تفيد المشاركة، أي أن صغار النفوس يتخذون حمية لتلافي الشدائد، بخلاف كبار النفوس (الدرى والكواهل) يتلقون الردى دون خوف.

٣٧. وترجع أعقاب الرّماح سليمةً وقد حُطّمت في الدّارعين العوامل
يُتضح أسلوب الطّبايق بين "سليمة (صفة مشبهة) - حُطّمت (فعل)"، ليبين مقدار شجاعته حتى باتت الرماح تخاف الاقتراب منه.

٣٨. وإن كنت تهوى العيش فايع توسّطاً فعند التّناهي يقصّر المتطاوّل

٣٩. تُوقّي البدور النّقص وهي أهلةٌ ويُذركها النّقصان وهي كوامل

شبهه حال الإنسان في أمنه من النقص عند التوسط بالعيش وعدم أمنه منه إذا بلغ نهايته، بحال البدور في أمنها من النقص وهي أهلة وإدراك النقص لها بعد اكتمالها، ووجه الشبه بينهما هو الأمن من النقص عند التوسط وعدم الأمن منه عند الكمال. وقد "سمع بعض الفضلاء قول الحكماء: التدبير نصف العيش، فقال: بل العيش كله" (أبي الحديد، ١٩٦٣)، وهذا كناية عن (الحزم) الذي أريد به صحة التدبير في مطلع القصيدة (عفاف وإقدام وحزم ونائل).

نتائج الدراسة:

تبين مما سبق أنّ الهمّة هي الهم إلى تحصيل معالي الأمور في شئ مناحي الحياة لتحقيق الشرف والرفعة. وقد حاولت الدراسة الكشف عن تجليات الهمّة عند أبي العلاء المعري بحسب ما بدت في ديوانيه سقط الزند واللزوميات بصورة عامة، وفي قصيدة (سبيل المجد) بصورة خاصة.

وخلصت إلى أنّ أثر الهمّة عند المعري تجلّى في بعدين:

• البعد الأول: أثر الهمّة على مستوى الموضوعات والمضامين، إذ تبين مدى تنوع الموضوعات وتفردّها في شعر المعري على المستوى الأخلاقي والنفسي والعلمي، حيث تكشف مجموعها عن عقلية فذة متأهّلة تتسم بالتفكير العقلاني والنظرة الخاصة العميقة لحوادث عصره ومجريات وجوده، ومن ذلك: نظراته للتكسّب ولطريقة التعامل مع أبناء عصره، وللموت، وتوظيفه العلوم التي يتقنها والثقافة الواسعة التي يكتنزها في مكونات أغراضه الشعرية - وما إلى ذلك - بالرؤية التي قدّمت في البحث عن تلك المضامين. فاكتمس شعره جزاء ذلك روحاً فلسفية عالية للوجود وللكون من حوله. استحقّق بها ذلك الصّيت والجدل الذي ذاع حوله في يومه، وحتى يومنا هذا. وإنّ هذا المجموع المتكامل من الموضوعات والمضامين يشفّ عن شخصية لها أفقها الفلسفي الخاص الذي تهّم لتحقيقه والبذل من أجله وفي سبيله، بما يتجاوز البعد المادي المحسوس.

بالتالي، يعدّ هذا البعد من السعة بمكان لاعتباره الإطار الأوسع للجزر النفسي لهمّة المعري على المستوى المعرفي.

• البعد الثاني: أثر همّة المعري على مستوى التشكيل الشعري، وقد تبلور ذلك من خلال قصيدة (سبيل المجد)، إذ ارتأت المعري تقديم المضمون الشعري الكلي لقصيدته من خلال مطلعها الذي قال فيه:

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعلٌ /// عفافٌ وإقدامٌ وحزمٌ ونائلٌ

فقد شكّل به الأطر التأسيسيّة الأربعة لهذا الطريق (عفاف وإقدام وحزم ونائل) التي كانت بمثابة الهيكل الكلي لمعاني وأخيلة القصيدة، إذ وظف أدواته الشعرية على مدى القصيدة لتجسيدها، ورسم كيفية تحقيقها لبلوغ المجد. مبرّراً من خلال ذلك تأملاته في وجوده، وفي المجتمع الذي يعيش فيه، وفي علاقته المتوترة مع الزمان والمكان مظهرًا تفوقه عليهما. فكان يستعين تارة بالتصوير الفني (التشبيهات والاستعارات) لإكساب المعنى صورة مشهّدية واقعية. وتارة يلجأ إلى الرمز وإلى توظيف قصص وأمثال متداولة توجز مضمونه الشعري. وتارة يوظف الأسلوب الحوارى مع الأضداد كقوله: (وقال السهى للشمس أنت خفية ... الخ) ليصوّر الحال الذي آل إليه صاحب الفضل والقيم العليا في مجتمع فاسد. ساعياً في كل ذلك إلى تغيير الصورة النمطية السائدة في مجتمعه، مضيقاً إليها بعداً جديداً في نظراته للحياة الّذميّة ومُعاشيتها والموت ومغامرتها، كما أبرزها البحث. وهذا البعد - لا شك - يمكن اعتباره الإطار الدقيق والضيق للجزر النفسي لهمّة المعري على المستوى اللفظي والمعنوي، اللغوي عمومًا. فاللغة هي التي تفصّل عن مكونات الإنسان.

وبعد، فكم بحثت عن دراسات تختص بتناول غرضي من أغراض شاعر ما على جِدّة، فتعامله بحسب ما ورد فيه من لغة ومعاني وأفكار دون احتكار كل الأغراض الشعرية التي أبدع فيها الشاعر في بوتقة تصوّر موحّد ظاهريًا، ثمّ قياس كل الأغراض الأخرى عليه. فالمعري - على سبيل المثال - كما كشف هذا البحث قد صدرت رؤيته في غرض الفخر بذاته عن نفس معتزة بما عندها وبما تُقدّم عليه وبما تترقّع عنه لوضاعته وبما تسعى لنيله لأصالته. وهذا ينمّ عن ملمح الهمّة في شعره كما بيّنها المقام. فلم كان الشائع دائما اقترانه بفلسفته التشاؤمية فقط؟ لم لم، يلتفت النقاد لغير ذلك؟ قد يوافق النقاد فيما ذهبوا إليه في بيت أو بيتين أو قصيدة، أقول قد، لكن هل يُفاس ذلك حقًا على كل الأغراض الشعرية التي أبدع فيها؟ ولو كان ذا فلسفة تشاؤمية حقيقةً، فهل بحثوا عن الدافع الأصلي الذي دعاه إلى ذلك؟ قد يكون باطن الأمر يعكس ظاهرًا ما رأوه. هذا موضع تساؤل قد أجابت عنه الدراسة بما استطاعت.

ومرادُّ القول في نهاية المطاف، أنّه يضطلع بنا أن لا نُقلِّب الأمور في عقولنا كما شاعت عَمَّن قَبْلنا، وإنما يكون لنا الدور في تفحصها وبحثها جادّين لإضافة قيمةٍ جديدة، أو نقدٍ قديم، أو ... الخ، فالشعر العربي القديم مليء بما يجدر الوقوف عليه، وقراءته بنظرة متأنّية مستوعبة فاحصة.

المراجع:

أولاً: المراجع العربية:

• القرآن الكريم .

١. أبي الحديد، ع.، (١٩٦٣) شرح نهج البلاغة، ط٢ القاهرة-بيروت: دار إحياء الكتب العربية. ص ١٨.
٢. ابن خلكان، ش.، (١٩٧٧) وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، ط بيروت: دار صادر، مج ١، ص ١١٣.
٣. ابن فارس، أ.، (٢٠٠٨) مقاييس اللغة، (د. ط) القاهرة: دار الحديث. ص ٩٢٣.
٤. ابن القيم، م.، (د.ت) الفوائد، دار عالم الفوائد، مطبوعات المؤتمر الإسلامي، ص ٢١٠.
٥. ابن القيم، م.، (٢٠١١) مدارج السالكين، ط الرياض: دار الصميعي. ج ٣، ص ٢٢٨٩.
٦. ابن منظور، م.، (١٤١٤هـ) لسان العرب، ط ٣ بيروت: دار صادر. مج ١٥ ص ٨٣.
٧. البخاري، م.، (١٤٢٢هـ) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، ط بيروت- لبنان: دار طوق النجاة. كتاب الأذان، باب الاستهام في الأذان، مج ١، ص ٢٢٢ (رقم الحديث: ٦١٥).
٨. بنت الشاطئ، ع.، (١٩٦٥) أبو العلاء المعري، د. ط، القاهرة: المؤسسة المصرية العامة. ص ٢٢٧-٣٤-٧.
٩. الجاحظ، ع.، (١٩٥٥) رسالة التريب والتدوير، د. ط، دمشق: المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية. ص ١٨.
١٠. الجرجاني، ع.، (٢٠٠٤) معجم التعريفات، ط القاهرة: دار الفضيلة. ص ٢١٥-٢١٦.
١١. الجندي، م.، (١٩٩٢) الجامع في أخبار أبي العلاء المعري وأثره، ط ٢ بيروت: دار صادر. ج ٢، ص ١٠٩٩-١١٤٧-١١٦٦.
١٢. الزبيدي، م.، (١٩٦٥) تاج العروس من جواهر القاموس، الكويت: مطبعة حكومة الكويت. ج ٩، ص ٧٨.
١٣. السقا، م. وآخرون، (٢٠٠٢) شروح سقط الزند، ط القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث. ص ٥١٩-٥٣٨.
١٤. عوض، ع.، (١٩٨١) علم النفس العام، ط ١ بيروت: الدار الجامعية. ص ٩١.
١٥. الماوردي، ع.، (١٩٨٥) أدب الدنيا والدين، ط ٤ بيروت: دار اقرأ. ص ٢٠٧.
١٦. أبو الحسن، م.، (د. ت) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، بيروت: دار إحياء التراث العربي. كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف رقم مج ١، ص ٣٢٥ (رقم الحديث: ٤٣٧).
١٧. المعري، أ.، (١٩٩٨) سقط الزند، بيروت- لبنان: دار الأرقم. ص ١٥-١٦-٥١-٥٨-١٢٣-١٢٦-١٤٩-١٤٥-٢٦٣-١٦٩-١٧٧-١٨٨-١٨٤-١٩٥-٢٠٤-٢٢٧-٢٢٨-٢٢٩-٢٣٠-٢٣٢-٢٣٤-٢٣٥-٢٤٣.
١٨. المعري، أ.، (٢٠٠٠) اللزوميات، بيروت- لبنان: دار الأرقم. مج (٢-١)، ص ٧٤-١١٤-١٤٢-١٥٤-١٨١-١٨٧-٢٠٢-٢١٣-٢٦٨-٣٢٧-٣٩٢-٤٣٢-٤٣٣-٤٧٠.
١٩. المناوي، م.، (١٩٩٠) التوقيف على مهمات التعاريف، ط القاهرة: عالم الكتب. ص ٢٤٣.
٢٠. المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري، (١٩٩٤)، ط ٢ بيروت: دار صادر. ص ٢٦.
٢١. الميداني، أ.، (١٩٥٥) مجمع الأمثال، بيروت- لبنان: دار المعرفة، ج ١، ص ٢٩١.
٢٢. ياسين، م.، (٢٠١٠)، معجم الأصوات، (د. ط) الأردن: عمان. ص ٧٢.

ثانياً: الصفحات الإلكترونية :

١. مشاركة، إ.، (٢٠٠٤) أبو العلاء المعري فلكيًّا، موقع مجلة الكتب العربية، <https://www.alarabimag.com/Article.asp?ART=10374>.
٢. بركات، م.، (٢٠١٥) متحدي الإعاقة الأول أبو العلاء المعري، موقع ثقافات <http://thaqafat.com/2015/08/27753>.

ثالثاً الرسائل الجامعية :

١. بطش، م.، (٢٠٠٥) إشكاليات الزمان في شعر أبي العلاء المعري، جامعة حلب، ص ١٤.

رابعاً: المجلات:

١. العاليلي، ع.، كيف نقرأ المعري، معهد الإنماء العربي، مج ٤، ع ٢٦، ص (٢٦٣-٢٦٩).

The Manifestations of Determination of Al-Ma'arri's

Dalal Ibrahim Kayed Al zuheiri

Master student (Arabic language and literature) - University of Jordan - Jordan
dalalalzuheiri@gmail.com

Abstract: This study aims to change the normal image of the poet Abū Al-alā Al-Ma'arri as describing him as the pessimistic and the anxious in life. This would be through explore the manifestations of determination of Al-Ma'arri's as it appears in his poetry in many levels and by providing examples of significant texts by him, which show these characteristics. The manifestations crystallized in his two poetical works that appeared as The Tinder Spark (Saqt al-Zand) and Unnecessary Necessity (Al-Luzūmīyat), and it explored him in terms of morals, psychological, and scientific. After that, the study shows the notion of manifestations in an applicational way by doing a technical study to his poem "Glory Path" (Sabeel Al-Majd), the one which disclose the logical perspective of life of Al-Ma'arri.

The study also shows throughout this exploration of the manifestations the unforgettable antiquities of Abū Al-alā Al-Ma'arri on himself and on others.

Keywords: Manifestation, Al-Ma'arri, Saqt al-Zand, Luzūmīyat, "Sabeel Al-Majd."

References:

- Alqrān Alkrym .

- [1] 'wḍ. '., 'lm Alnfs Al'am, T1 Byrwt: Aldar Aljam'yh, (1981), pp.91
- [2] Abn Alqym. M., Alfwayd ,Dar 'alm Alfwayd ,Mtbw'at Almwtnr Aḷslamy, pp.210 .
- [3] Abn Alqym. M., Mdajr Alsaalkyn, T1 Alryad: Dar Alshmy'y, (2011), J3, pp. 2289.
- [4] Abn Fars. A., Mqayys Allghh, (D. T) Alqahrh: Dar Alhdyth, (2008), pp.923.
- [5] Abn Khlkan .Sh., Wfyat Alā'yan W Anbah Abna' Alzman, T Byrwt: Dar Sadr, Mj1, (1977), pp. 113.
- [6] Abn Mnzwr. M., Lsan Al'rb, T3 Byrwt: Dar Sadr. Mj15(1414h), pp.83.
- [7] Abw Alhsn. M. Almsnd Alshyh Almkhtsr Bnql Al'dl 'n Al'dl ALy Rswl Allh Sly Allh 'lyh Wslm, Byrwt: Dar AḤya' Altrath Al'rby . Ktab Alslah, Bab Tswyt Alshfw Rqm Mj1, pp.325 (Rqm Alhdyth:437).
- [8] Aby Alhdyd. '., Shrh Nhj Alblagh, T2 Alqahrh-Byrwt: Dar AḤya' Alktb Al'rbyh, (1963) pp.18

- [9] Albkhary. M., Aljam' Almsnd Alshyh Almkhtsr Mn Amwr Rswl Allh Sly Allh 'lyh Wslm Wsnnh Wāyāmh = Shyh Albkhary, T1 Byrwt- Lbnan: Dar Twq Alnjah . Ktab Alādhan, Bāb Alastham Fy Alādhan, Mj1, § 222 (Rqm Alhdyth:615), (1422h)
- [10] Aljahz. '., Rsalī Altrby' Wātdwyr, D. T , Dmshq: Alm'hd Alfrnsy Bdmsḥq Ldrasat Al'rbyh , (1955), pp.18.
- [11] Aljndy. M. , Aljam' Fy Akhbār Aby Al'la' Alm'ry Wātharh, T2 Byrwt: Dar Ṣadr, (1992), J2, pp.1099- 1147- 1166 .
- [12] Aljrjany. '., M'jm Alt'ryfat, T1 Alqahrh: Dar Alfdylh, (2004), pp. 215-216
- [13] Almawrdy. '., Ādb Aldnya W Aldyn, T4 Byrwt: Dar Aqrā, (1985), pp. 207.
- [14] Alm'rīy. Ā., Allzwmyāat, Byrwt- Lbnan: Dar Alārqm. Mj (1-2), (2000), pp.74- 114-142-154-181-187-202-213-268-327-392-432-433-470.
- [15] Alm'rīy. Ā., Sqṭ Alznd , Byrwt- Lbnan: Dar Alārqm, (1998), pp. 15-16-51-58-123-126-149-145-263-169-177-188-184-195-204-225-228-227-228-229-230-232-234-235-243
- [16] Almhrijan Alālfy Lāby Al'la' Alm'ry, T2 Byrwt: Dar Ṣadr, (1994), pp. 26.
- [17] Almnawy. M., Altwqyf 'ly Mhmāt Alt'aryf, T1 Alqahrh: 'alm Alktb, (1990), pp. 243
- [18] Almydany. Ā., Mjm' Alāmthāl, Byrwt-Lbnan: Dar Alm'rīh, J1, (1955), pp.291.
- [19] Bnt Alshatī. '., Ābw Al'la' Alm'rīy, D. T , Alqahrh: Almwssh Almsryh Al'āmh, (1965), pp.7-34- 227-228.
- [20] Alsqa. M. & ākhrwn, Shrwḥ Sqṭ Alznd, T4 Alqahrh: Dar Alktb Wālwthāyq Alqwmīy, Mrkz Thqyq Altrath, (2002), pp. 519-538
- [21] Alzbydy. M. , Taj Al'rws Mn Jwāhr Alqamws, Alkwyt: Mtb'ī Hkwmī Alkwyt, (1965), J9, pp.78.
- [22] Yāsyn. M., M'jm Alāṣwāt, (D. T) Alārdn: 'man, (2010), pp.72.